القيم الجمالية في المثل القرآني

د. عبدالله محمد الأمين (★)

المبحث الأوّل

الإطار العام للبحث

مقدمــة

الحمد لله الذي جعل الإسلام خاتماً للأديان ، وأراد للقرآن أن يكون معجزة هذا الدين الخالد ، فأنزله على رسوله الأمي محمد عليه السلام بلسان عربي مبين ، فشهد له العرب بالبلاغة ، ووقفوا أمام بيانه مبهورين ، وكانوا أهل بلاغة وأصحاب فصاحة ، فكان عجزهم عن الإتيان بمثله إعجازاً لمن يجئ بعدهم من العرب وغيرهم إلى أن تقوم الساعة

- **سبب اختيار الموضوع**

وسبب اختياري لهذا الموضوع رغبتي الأكيدة في خدمة القرآن الكريم في جانب من جوانبه وفرع من فروعه خدمة لديني

- **أهميّة البحث**

وأهمية البحث تكمن في أنه دراسة تتناول الجانب الجمالي للصور البلاغية للمثل القرآني

(★)

- **أهداف البحث:**

من خلال قراءاتي للقرآن الكريم ومدارستي له تجلّت لي من حقائقه الباهرة أسرارُ إعجازه البياني في ضرب المثل – وهذا البحث محاولة متواضعة جاءت تحت عنوان القيم الجمالية في المثل القرآني وهو بحث لا ادعي السّبق فيه، ولا أجحدُ جهود السّلف الصالح في خدمة القرآن تفسيراً وإعراباً وبلاغة ، وقد زودتني جهودهم بمعالم هادية إلى الطريق الذي سرت فيه من حيث انتهت خطواتهم ، وثقتي تزداد بأن هذا القران سيظل أبداً النبع السخي لعلماء العربية والإسلام على امتداد الزمان والمكان.

والبحث في نسقه الذي أقدمه يجمع خلاصة أسرار المثل القرآني وقدرته التعبيرية عن المعاني والقرآن الكريم لا تنقضي عجائبه في كلّ شئ تطلبه ،والأيام تكشف أن الأعجاز قائم في كلّ نواحيه ،وحسبنا أننا لو تابعنا كلام العلماء في بحوثهم مادية كانت أو روحانية لرأينا القرآن قد سبقهم في كلّ مجال ممّا يحدّثُ عنه القرآن من شؤون .

والباحث إذ يقف على هذا اللون من التعبير القرآني وهو ضرب المثل لوجد فيه زاداً طيباً وغذاءً روحياً يقوي به نفسه ، ويأخذ منه هو وغيره العِظَة والعِبرة تثبيتاً للعقيدة وتقوية للأخلاق وتدعيماً للمبادئ والباحث يجد متعة عظيمة تشدّه إلى الاسترسال في الحديث والتأمل لتزداد نفسه شبعاً وريّاً من هذا المعين الذي هو تنزيل من ربّ العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ، ومن أصدق من الله قيلا؟

والمثل في القرآن الكريم تعدّدت أنواعه وتكاملت خصائصه الفنّية مع توافر صدق التّعبير وإثارة الحواس وخاصة الانتباه والترقب والتحفز، وقد ورددت في القرآن الكريم آيات عديدة ضرب فيها المثل ، ومن هنا رأيت تخصيص هذا البحث الذي يتناول الأمثال وإبراز قيمها التعبيرية

- **منهج البحث**

المنهج الذّي أجرى عليه الباحث هذه الدّراسة، وهو يتناسب معها هو المنهج الوصفيّ التّحليلي

- **الدّراسات السّابقة**

والدراسات السابقة كثيرة ومتنوعة لا يستطيع الباحث حصرها مابين مصادر مؤلفة في القديم تعنى بالمثل في القرآن ومراجع حديثة تعنى بالمثل – وأنواعه وتبرز آراء الباحثين في أثر الأمثال لبيان الإعجاز القرآني مع انفراد البحث بتناول الجانب الجمالي والتصوير للمثل القرآني

وممّا لاشكّ فيه أن بناء القرآن اللغوي المتين ، ونظمه البلاغي الوافي يأتي في مقدمة أسباب سمو هذا الكتاب عن عبث العابثين بالحذف والزيادة والتبديل والتغيير بحيث عدّ الكتاب الوحيد الذي بقي على صورته كما نزل به جبريل الأمين عليه السلام، لم يتغيّر فيه حرف من كلمة، ولا كلمة من جملة ولا جملة من عبارة ، وبقاء القرآن على هذا الوجه المتميّز من الصون والحفظ كان – أيضاً وبدون شكّ حسنة من حسنات اللّغة العربية إذ ضمن لها الحفظ ، وحقّق لها الصون ،وهيّأ لها دوام الاستعمال والاشتهار ، والانتشار وتلك مّيْزَه تزهو بها اللغة العربية .

فالقرآن الكريم حقّق للغة العربية الخلود ، وهو يعدّ خير معجم لحفظ مفرداتها، وصَوْن تراكيبها، وصدق الله في قوله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (سورة الحجر ٩) [1] ولهذا لم يكن مستغرباً أن تتعدّد آراء الباحثين حول الجانب الذي يتمثّل فيه إعجاز هذا الكتاب العظيم، فقد نقلت إلينا الكتب والمؤلفات ومازالت تنقل وجوهاً كثيرة

(1) سورة الحجر أية (9).

للإعجاز ، تختلف من عصرٍ إلى عصر، ومن باحثٍ لباحث "[1].

- **هيكل البحث**

وقد بني البحث على مقدمة ومبحثان وثلاثة مباحث وخاتمة على النّحو التّالي -

- **المبحث الأوّل :** الإطار العام للبحث
- **المبحث الثّاني** وقد تناول معنى المثل وأنواعه .
- **المبحث الثّالث :** وقد اشتمل على دراسة وتحليل لنماذج مختارة من الأمثال في القران الكريم
- **الخاتمـــــة :** وتتضمن ملخصاً لما أنجز في هذا البحث وأهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

المبحث الثّاني

تعريف المثل وأنواعه

تعريف المثل (لغة) :

المثل في اللغة جمعه أمثال ، والمَثل والمِثل والمثيل كالشبه والشبيه لفظاً ومعنى .

ومن الأصول اللغوية للمثل نستفيد مما ذكره ابن فارس في كتابه مقايس اللغة "أن الميم، والثاء، واللام أصل صحيح ، يدل على مناظرة الشيء للشيء ؛فيقال : هذا مثل هذا ؛ أي نظيره ، والمثل والمثال في معنى واحد ، وربّما قالوا مثيل كشبيه، والمَثَل و المِثل أيضاً ، والمثل المضروب من هذا ؛ لأنه يذكر مورى به عن مثله في المعنى ، والمثل والنّظير ،

([1]) فنون البلاغة بين القرآن(كلام العرب ≠د فتحي فريد-دار اللواء للنشر والتوزيع السعودية الرياض –ط1- 1980م-ص 5)

والمثل السائر من أقوال العرب "[1]

وفي هذا المعنى ما ذكره الزمخشريّ بقوله" المثل في أصل كلامهم بمعنى(المِثل) وهو النظير ،يُقال مِثل ، مَثَل ،مثيل ،كشبه ، وشبه ، وشبيه ،ثم قيل للقول الممثل مضربه بمورده "[2]

وقد وردت كلمة المثل في قواميس اللغة" المَثَل ،والمَثيل ، كالمِثل ، والجمع أمثلة ، وهما يتماثلان والمَثَل الشّئ الذي يضرب لشئ مثلاً ؛ فيجعل مثله، وهو ما يضرب به من الأمثال ومثل الشئ صفته ،والمثل مأخوذٌ من (المثال) و(الحذو) ومثل بالشئ ضربه مثلاً "[3] .

وبناء على ، ونحوه ما ورد في المعاجم القديمة قرّر علماء مجمع اللغة العربية في القاهرة أن " الأمثال جمع مثل وهو عبارة تُقال لتشبه حال لنظيرتها ، أو قصة ، والأمثال النظائر ، والمثل الصّفة "[4]

والمثل في الأدب قولٌ محكي سائر يقصد منه تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي قيل لأجله ؛ كقول العرب "ربّ رميةٍ من غير رامٍ أي رُبّ إصابةِ هدفٍ حصلت من رام شأنه أن يخطئ ؛ فهذا المثل وضع في أصله لمعنى معيّن ، ويجوز أن يقال ويتمثل به في كل حالة تشبه الحال الأصلية الأولى وكذلك قول العرب" الصّيف ضيّعتِ اللّبن فقد قيل في أوّل الأمر لامرأة كَرِهَتْ زوجها العجوز الغنِي ؛ فطلبت طلاقها منه، فطلّقها، ثم تزوجت بشاب

([1]) ابن فارس – مقاييس اللغة – ت – محمد عطية – ج5 مطبعة البابا الحلبي – القاهرة ط 7 ص 296

([2]) انظر الزمخشري الكشاف – ج3 ص206 .

([3]) انظر السيوطي (الإتقان في علوم)القرآن ج 1 –ص 206 .الميداني مجمع الأمثال ج -1 ص 6 .ابن رشيق القيرواني-(العمدة) ج -1 ت محمد محي الدين ط 8- 1999م – ص280 .

([4]) خالد معدل –أضواء على بعض الأمثال في القرآن الكريم – مجلة أفاق الثقافة والتراث العدد الثامن مارس 1995م.

فقير، واضطّرتها الحاجة أن تلجأ لزوجها السّابق في شتاء قارس تطلب معونته ؛ فقال لها ؛ الصيف ضيعت اللبن فذهب قوله مثلاً ؛ وهو إلى اليوم يقال في كل أمرٍ مماثل حين يطلب الإنسان حاجة في غير أو أنّها أو فرصة سبق أن ضيّعها .

ولا تختلف صيغة المثل في كل استعمالاته فإذا خوطب رجل أو اثنان أو أكثر أو أقل أو امرأة أو اثنتان أو أكثر :قيل" الصّيف ضيعت"اللبن .دون زيادة أو نقصانٍ ذلك أمر المثل في اللغة العربية أما أمره في اللغات السامية فيشترك فيما ذكرنا ويزيد عليه أنّه يستعمل في الكلمة الجامعة المُرَكّـزة الدالة على الصفة والقدرة على الالغاز والتّعمية .كذلك يستخدم في التعبير عن القطعة الأدبية التي تتجاوز الفقرة والفقرتين والتي تقـص نبـوءة من النبـــوءات أو تنزع منزع الأنشــودة الشّعريــة أو يفسـر قصــة أو يوضّح عبارة" [1].

وقد اشترط الدّارسون العرب في المثل شروطاً أربعه هي-

(1) إيجاز اللـّفظ (2) إصابة المعنى (3) حسن التّشبه (4) جودة الكتابة .

وقد يطلق المثل على الحال والقصّة العجيبة الشّأن وبهذا المعنى فُسِّر لفظ المثل في كثيرٍ من الآيات القرآنية وأشار الزمخشريّ إلى هذه المعاني في كشّافه قائلاً والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل والنّظير ثم قيل للقول السّائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ً ولا رأوه أهلاً للتيسير ولا جديراً بالتداول والقـَبول إلاّ قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه وقد استعير المثل للحال أو الصفة .أو القصة إذا كان لها.شأن " [2]

وهنالك معنى ذهب إليه علماء البيان في تعريف المثل فهو عندهم ؛ المجاز المُركّب الذي تكون علاقته المشابهة متى فشي استعماله وأصله الاستعارة التّمثيلية كقولك للمتردّد في

([1]) التعبير الفني في القرآن –د بكري شيخ أمين – دار الشروق جده – ط2 - 1976م – ص229 .

([2]) الكشاف الزمخشري – ج3-ص 146 – بلاغة القرآن – محمد الحصري –ص26 .

فعل:أمرٍ" مالي أراك تُقدّم رجلاً وتُؤخّر أخرى .

وقال علماء البلاغة في ضابط المثل كذلك" إنّه إبراز المعنى في صورةٍ حسيـّةٍ تُكسبه روعة ً وجمالاً ً والمثل بهذا المعنى لا يشترط أن يكون له مورد كما لا يشترط أن يكون مجازاً مركباً "(1)

- **تعريف المثل (اصطلاحاً) :**

" تعدّدت تعريفات المثل في آثار القدماء والمعاصرين من العرب وغيرهم تعدداً ملحوظـاً لا يكـاد يخـرج في حقيقتـه عن أصولـه الاشتقاقيـة مما نحـاول اجمالـه فيما يلي" (2) .

لقد ربط كثير من النقاد العرب القدامى بين كل من (المثل) و(الحكمة) ربطاً يؤكّد إيمانهم القوي بالوشائج المتينة بينهما ؛ بوصفهما من أجل حصائد الفكر وثمرات العقل ومن أوائل هؤلاء النقاد أبو عبيد القاسم بن سلام الذي يطالعنا بذهابه إلى أن الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام "(3)

أمّا اسحق بن إبراهيم الفارابي فقد وصف المثل بكونه من أبلغ الحكمة وقد رأى أبو هلال العسكري أن الأمثال نوعٌ من العلم منفرد بنفسه لا يقدر على التّصرف فيه إلاّ من اجتهد في طلبه ؛ حتّى أحكمه وبالغ في التماسه ؛ حتى أتقنه معقـّباً على ذلك بقوله" ثم جعل كل كلمة حكمة سائرة مثلا"(4) .

ومواكبة لذلك ونحوه فَطِن الزّمخشريّ إلى كَوْنِ الأمثال" قصارى فصاحة العرب

---

(1) مباحث في علوم القرآن – مناع القطان –منشورات العصر الحديث – د – ت –ص 282.

(2) انظر فن الأمثال في مجتمعنا القديم والمعاصر – د – عبد المجيد الإسداوي – مكتبة عرفات – الزقازيق – ط2- 2006م ص 64 – انظر من النقد التحليلي/ د عبد المجيد الاسداويي–مكتبة المتنبي الرياض – ط1 - 2007م –ص81 .

(3) الاتقان في علوم القرآن – جلال الدين السيوطي –دار الكتب المصرية –ط4 - 1986م –ص 123.

(4) الاتصال وعلوم القرآن جلال الدين السيوطي – دار الكتب المصرية ط4 1986م ص 118.

العرباء وجوامع كلمها ونوادر حكمها وبَيْضة منطقها وزبدة حوارها وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السّليمة .[1]

ومن لطيف ما عُرِف به المثل قول ابن القيم الجوزيّة الأمثال شواهد المعنى المراد وهى خاصية العقل ولبّه وثمراته [2].

ومنه قول شهاب الدين الأبشيهي" الأمثالُ أشرف ما وصّل به اللّبيب خطابه .وحلّى بجواهره كتابه "[3]

ومن هذه التعريفات نرى مدى حرص العرب على بعض الخصائص الفكرية والتّشكيلية لأمثالهم وفي مقدمتها الإيجاز وصحّة المعنى وجودته إضافة إلى ربطهم الوثيق بين كلّ من الحكمة والنّادرة والقصّة والصّفة والمثل من جهة وعقدهم مظاهر المشابهة .أو المماثلة بين الأشياء وإدراكهم صفتي الانتشار والصيرورة بهذا الفن من جهة أخرى .

ومن تعريفات المثل في الفكر النقدي المعاصر نجد "النقاد الغربيين لهم تعريفات للأمثال تُشكلٌ جانباً من رؤاهم النّقدية للمثل وفي مقدّمتهم كاتب مقال (المثل) في "دائرة المعارف البريطانيّة والذي يطالعنا بقوله" إنّ المثل جملة قصيرة موجزة مُصيبة المعنى شائعة الاستعمال وهو تعريف لا يختلف عن مضامين تعريفات المثل في آدابنا العربية .

وقد تعدّدت تعريفات الغربيين وهى في جملتها تُنَسقُ مع معالم النّظرية النّقدية العربية القديمة والحديثة وارتكازها على الرّبط الوثيق بين كل من المثل والحكمة والتّشبيه والمماثلة والقصة والصفة من جهة والإيجاز والشيوع ، ودقّة التّعبير المجازي من جهة ثانية وسلامة

(1) الكشاف –ج2 – الزمخشري تحقيق يوسف الحمادي – مكتبة مصر –ص143.

(2) في النقد التحليلي ≠د عبدالمجيد الإسداوي–ص100.

(3) المستطرف في كل فن مستظرف الأبشبهى دار الجيل – بيروت – ط11 – ص112.

المعنى وصحّته من جهة أخرى .[1]

وهذا ما يُؤكّد صِحّة ما خَلُصَ إليه بعض نقادنا وعلمائنا في أنّ أهمّ الخصائص البلاغية التي تحدد أركان المثل وملامحه من هذه التعريفات الأجنبية هي مجازية الأسلوب.وكونه مختصراً وواقعية الصّور والتّنغيم .

ومن التعريفات ذات الصلة بموضوعنا" إن ضرب المثل في غضون الكلام يُعدُّ لوناً متميزاً من ألوان التشبيه ويُعدُّ أحياناً لوناً خاصّاً من ألوان الاستعارة فإن كان المُمثّل له مذكوراً في الكلام كان تشبيهاً وإن كان محذوفاً فهو استعارة .وفي القرآن الكريم نافذة عريضة كبرى على هذه الأمثلة بل قلما يخلو معنى من المعاني التي يعرضها القرآن الكريم من الارتباط بمثال مُضرب يكسوه ثوباً يحس به ويجسد فيه "[2].

الأمثال في القرآن الكريم

ومن تعريف الأمثال في القرآن الكريم ما يطالعنا به الدكتور حسين نصّار .الأمثال أحد المجالات التي تمكن بناء المثل والحكم عليه كأنه عين المثل له و الإتيان بالأمور مجتمعة وعدم الإتيان بها فرادى والأشعار بالحقائق المحسوسة التي أشارت إليها وتوضّح المعاني الصعبة يجعلها في متناول العقل البشري في بيان مُعجز وترتيب عجيب وذلك بسبب عظمتها وعدم الاقتصارعلى مفهوم واحد من حيث التّشخيص والتّصوير والتّمثيل بل تندرج تحتها مفاهيم لا تحصى فهي بمنزلة قواعد تتفرّع عنها أفكار عدة تتناول حقائق كثيرة مختتمة بالدّقة والواقعية وتصوير الحقائق المجرّدة تصويراً لا يبعد عن الواقع المحسوس والتّأثير

([1]) من النقد التطبيقي ≠د عبد المجيد الإسداوي–ص82.

([2]) راجع من روائع القرآن – محمد سعيد البوطي – دار الكتاب بيروت ط 1 1989م ص18- محمد جابر فياض – دار صادر – بيروت – ط2 – 2003م –ص 35 .

النفسي وعدم مجئ هذا الأسلوب الحكيم في عزله عن الآيات السابقة و اللاحقة وإنما شارحاً لما قبله وممهداً لما بعده مصحوباً بالحكم على من أطاع ومن عصى "[1]

وإذا تأملّنا أمثال القرآن التي يذكرها المؤلفون في القديم والحديث وجدنا أنهم يُوردون الآيات المشتملة على تمثيل حال أمر بأمرٍ آخر سواء أورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة أو التشبيه أو الآيات الدّالة على معنى رائع بإيجاز أو التي يُصبح استعمالها يشبه ما وردت فيه فإن الله سبحانه وتعالى ابتدأها دون أن يكون لها مورد من قبل، وهذا ما ورد عن علماء السلف مثل ابن القيّم والزّمخشريّ وغيرهما .

وتجدر الإشارة إلى أنّ أمثال القرآن الكريم لا يستقيم حملها على ما يذكر في كتب اللّغة لدى من ألفوا في (الأمثال) ؛ إذ ليست أمثال القرآن الكريم أقوالاً استعملت على وجه تشبيه مُضربها بموردها ولا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان فمن أمثال القرآن ما ليس باستعارة ولذا كان الضابط الأخير أليق بتعريف المثل في القرآن الكريم فهو إبراز المعنى في صورةٍ رائعةٍ موجزة لها وَقْعُها في النفس سواء كان تشبيهاً أو قولاً مرسلاً يقول ابن القيم في أمثال القرآن تشبيه شيء بشيء في حكمه أو تقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من بالآخر وسوف بسوق الأمثلة ونجد أكثرها على طريقة التشبيه الصّريح كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[سورة يونس: 24] وفيها ما يجئ على طريقة التّشبيه الضّمني كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾ [سورة الحجرات ١٢]. إذ ليس فيه تشبيه صريح ومنها ما لم يشتمل على تشبيه أو استعارة كقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ

(1) إعجاز القرآن (الأمثال حسين نصار الهيئة المصرية العامة – القاهرة (ط1 - 2002م ص 15 وما بعدها .

شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[سورة الحج ٧٣] ؛ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا ﴾(وقد سمّاه الله مثلاً وليس فيه تشبيه ولا استعارة .)[1] وقد يحتاج إلى ضرب من التّأويل والاستعارة التي وجه الشبه فيها عقلي ولم يكن من المحسوس والغرائز والطّباع والسُنة والعبرة ؛ ويرى كثير من العلماء أن الإعجاز القرآني يتجلى فيها تجلياً واضحاً ؛ لأنها في القرآن ذات تفرُّد يجذب الأبصار ويكسب الإعجاز ويُثير الشّهية إلى البحث سعياً وراء الكشف عن أسرارها التعبيرية البالغة الغاية في المجال .

ومن غاياتها يستنبط ممّا جاء في بعض آيات سور" إبراهيم والزمر والحشْر أنّ الأهداف التي أرادها الله جلا وعلا من الأمثال هدفان التّذكير والتفكير مضيفاً هدفاً ثالثاً تضمنته الأحاديث النبوية وهو الاعتبار .

ومن هذه الغايات الثّلاث إلى ثلاثة وستين هدفاً آخر ممّا تضمنته كتب التّفاسير والمؤلّفين والدّارسين القدامى والمعاصرين وهي التّخويف والتّحذير والزّجر والهداية والوعظ والتّصوير وإبراز الغائب كأنّه مشاهد وإدناء المتوهّم من المشاهد وإبراز المتخيل في صورة المحقّق وإبراز المتوهّم في مَعْرض المتيقن وتبكيت الخصم الألدّ وقمع صورة الجامح الأبي والإمتاع والتّصديق وتشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس .وتقريب أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر وتشبيه الخَفِي بالجلي والحثّ والتّقرير وتقرير حال المثل في النّفس حيث يكون الممثل به أوضح من المثل أو يكون للنّفس سابق ألفة واستئناس به وتعليم البيان وتسخير الوهم للعقل واستنزاله من

([1]) دراسات في علوم القرآن/ د فهد الرومي– مؤسسة الرسالة – ط2 بيروت سنة 1994م – ص37 .

مقام الاستعصاء عليه في إدراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الأبية ؛ كي تبايعه فيما يقتضيه ؛ ويشايعه إلى ما يرتضيه وجعل الأمثال ألطف لأداء الوظيفة .وإبداء المنكر في صورة المعروف وإظهار الوحش في صورة المعروف وإبراز المعنى المقصود في معرض الأمر المشهود وتصوير أوابد المعاني بهيئة المأنوس والتّرغيب في الأعمال الخيّرة والتّنفير من الممثل به ممّا تكرهه النفوس وتنفر منه والاحتجاج حيث يلزم من تسليم الممثل به ، وإدراك أن الممثل مطابق له والرجوع إلى الاعتقاد الحقّ والتّأديب والتربية وقياس النّظير على النظير وجمع المعنى الرائع في عبارة موجزة وتهويل ما ينبغي تهويله من معاني التهديد والوعيد وتقريب المعنى الكلي في بعض جزئياته ومنع النفوس عن الإثم والمعصية ودفعها إلى الفضيلة وتهذيب الطبائع والتخفيف من غلواء النفوس والحدّ من ضراوتها وإيثار تعطية المقصود من العبارة بالمثل تأدباً واستحياءً وتثبيت النفوس على الحقّ وتأكيد الطريق الصّحيح لها وتميّز الحقّ من الباطل وصرف القلوب من الكفر والجحود والتّدبُّر وتقريب الأحكام وتقريرها في النّفوس ودعم قضايا فكرية وكشف حقيقة الخصوم في صور مشاهرة وتجسد الحقّ والباطل والضلال مع الختام بالنّصح والتنّدر[1].

إنَّ نظرة إلى أمثال القرآن الكريم تبيّن لنا كيف وصل المثل القرآني إلى أغوار النّفس وأبعادها ؛ ممّا جعلها تتبوأ مكانة الصّدارة وتحتلُّ مكان الذروة قبل الأمثال العربية وغيرها من أمثال الأمم الأخرى ؛ فلم تكن الأمثال في القرآن الكريم مقصورة أو محدودة ؛ وإنّما تناولت مجالات عديدة وأحاطت بالموضوعات التي تحدّثت عنها إحاطة تامّة كما يحيط السّوار بالمعصم ومع هذا فقد اشتملت على جميع القضايا التي جهلها البشر منذ القدم وفضلاً عن هذا فأمثال القرآن لون من ألوان الهداية الإلهية تدفع النّاس إلى الخير وتمنعهم من الشّر وتحبب إليهم الفضيلة وتبغض إليهم الرزيلة ويكفي أنّها المقياس لمعرفة العقلاء والعلماء من

(1) راجع موسوعة الأمثال القرآنية – د/محمد عبد الوهاب – دار الكتاب العربي – بيروت –ط2 – 2003م ص25.

النّاس وهي إلى جوار هذا وسيلة للإفهام وتبصرة للعقول وتوجيه وإرشاد.وإقناع بالحجة ودعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وسبيل إلى الوعي وإيقاظ الفكر ويكفي أنّها أسلوب من أساليب التّربية .[1].

(إذا نظرنا إلى أمثال القرآن الكريم التي يذكرها العلماء وجدنا أنهم يوردون الآية المشتملة على تمثيل حال أمر بحال أمر أخر سواء أورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة أم بطريق التشبيه الصريح أو الآيات الدّالة على معنى رائع بإيجاز أو التي يصحّ استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه فإن الله ابتدأها دون أن يكون لها مورد من قبل ؛ فأمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللّغوي الذي هو التّشبيه أو النّظير ولا يستقيم حملها على ما يذكر في كتب اللّغة لدى من ألفوا في الأمثال ؛ إذ ليست أمثال القرآن أقوالاً استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها ولا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان .

وقد ضرب الله الأمثال في القرآن للناس لعلهم يتذكرون ولقد ضرب في القرآن من كل مثل ؛ حتى لقد صار علم أمثال القرآن من أعظم علومه وشملت أمثاله كل مسائل العقيدة يضرب بها المجرّد ويصوّره محسوساً مادياً ويصوغها خبرات من المشاهد اليومية من حياتنا العملية فيها العلم والسّداد ومكارم الأخلاق وشرف العمل وشؤون النّاس والأفراد . وقصص من التّاريخ عن الذين خَلَوْا ؛ وموعظة للمتقين وإذا كانت الأمثال صفوة تجارب العقول والقلوب وهي ميراث حكمة الأمم عبر الحياة فأمثال القرآن الكريم خير الأمثال وأعظمها ؛ لأنها من كلام العليم الحكيم والمثل السائر فيها هو الحكمة البالغة للناس والحجّة الدّامغة للعقل ولما استحوذت آيات القرآن الكريم على قلوب المسلمين منذ فجر

([1]) انظر النقد التطبيقي – د/عبدالمجيد الا سدآوي ص 15. موسوعة الأمثال القرآنية –/د محمد عبدالوهاب – دار الكتاب العرب – ط2 سنة 2003م ص25 .

الإسلام فقد جرت بعض آيات منه على الألسنة مجرى المثل وأضحت من أصدق المسائل الأدبية تعبيراً [1]

أنـواع المثـل

يرى معظم الأدباء الذين كتبوا في شأن المثل القرآني – إنْ نظرت إلى أمثال القرآن وإلى أمثال العرب تبيّـن لنا كيف وصل المثل القرآني إلى أغوار النّفس وأبعادها ؛ مما جعلها تتبوّأ مكان الصّدارة وتحتلُّ مكان الذروة قبل الأمثال العربية وغيرها من أمثال الأمم الأخرى ؛ فلم تكن الأمثال في القرآن مقصورةً أو محدودةً ؛ وإنّما تناولت مجالات عديدة وأحاطت بالموضوعات إحاطة تامّـة كإحاطة السّوار بالمعصم – ومع هذا فقد اشتملت على جميع القضايا التي جهلها البشر والأمثال في القرآن الكريم لون من ألوان الهداية الإلهية التي تدفع النّاس إلى الخير وتمنعهم من الشّـر وتحبب إليهم الفضيلة وتبغّـض إليهم الرزيلة ويكفي أنّهـا المقياس لمعرفـة العقـلاء والعلمـاء من النّاس " ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ (سورة العنكبوت ٤٣) – وهي إلى جانب ذلك وسيلة للإفهام وتبصرة العقول وتوجيه وإرشاد وإقناع بالحجـّة والدليل ودعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وطريق الى الوعي ؛ وايقاظ الفكر وأسلوب من أساليب التّـربية [2]

وقد اتفق الدّارسون على تقسيم أمثال القرآن إلى الأنواع التّالية – الأمثال الكامنة والأمثال الصّريحة أو القياسية والأمثال السّائرة _ فالأمثال الكامنة هي التي يفهم من معناها أنّها تشبه أمثالاً من الأمثال العربية ولا ذكر فيها للكلمة مثل إنّها أمثال بمعانيها لا بألفاظها ؛ لذا سوّغ الباحثون لأنفسهم تسميتها بـ [الأمثال الكامنة] والأمثال الصّريحة أو القياسية هي التي وردت فيها عبارة مثل – علماً بأن البلاغيين والمفسِّـرين لم يقتصروا على هذه

(1) النقد التطبيقي عبد المجيد الاسراوي – ينصرّن ص 95 ومابعدها.

(2) راجع دراسات في علوم القرآن – يوسف الحمادي مؤسسة الرسالة –ط2 بيروت 1994م –ص93 .

الأمثال في أثناء حديثهم عن التمثيل في القرآن الكريم بل أضافوا الى ذلك أمثالاً من (القصص) ومن (الصّور المجازية) وعدُّوها من المثل القياسي على الرغم من أن لفظ (المثل) لم يرد فيها صراحة .

وأنّ الأمثال السّائرة فهي في جملتها مبادئ دينية وخُلُقية مُركّزة وقد اكتسبت صفة المثل بعد نزول القرآن الكريم فلم تكن أمثالاً في وقت النزول وتمتاز بأنها (جمل مرسلة) من غير تصريح بلفظ التّشبيه ويمكن استعمالها فيما يشبه ما وردت فيها وتتسم بالإيجاز في العبارة والشّمول في المعنى ؛ لذا فهي أشدّ وقعاً وأبعد أثراً في النّفوس والقلوب تتوغل معانيها في العقول فتكون أشدّ إقناعاً للمتلقّي من وصف الشئ ذاته وبناءً على ما تقدم فالأمثال في القرآن الكريم ثلاثة أنواع [1]:

- 1 الأمثال المصرحة 2- الأمثال الكامنة 3- الأمثال المرسلة .

النوع الأول: الأمثال المصرّحة وهي ما صرّح فيها بلفظ المثل يدلّ على التشبيه وهي كثيرة من القرآن نورد منها ما يأتي :

أ - قوله تعالى في حق المنافقين : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

([1]) نقلاً عن مباحث علوم القرآن – مناع القطان –منشورات العصر الحديث د/ت – ص280 .

[سورة البقرة ١٧ ــ ٢٠][1] .

ب - وقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾ [سورة الجمعة ٥] .

ت وقوله تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ ﴾ [سورة إبراهيم ٢٤ ــ ٢٥].

- **النوع الثاني** _ الأمثال الكامنة وهي التي لم يصرّح فيها بلفظ التمثيل ؛ ولكنّها تدلّ على معانٍ رائعة في إيجاز يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها ويمثلون بهذا النّوع بأمثاله منها .

أ - ما في معنى بقوله" خير الأمور الوسطٌ وفي قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ ﴾ [سورة البقرة ٦٨] .

ب - قوله تعالى في النفقة :﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [سورة الفرقان ٦٧] .

ت قوله تعالى في الصلاة :﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾ [سورة الإسراء ١١٠].

ث - وقوله تعالى في الإنفاق : ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا

(1) سورة البقرة الآيات من 17- 20 .

نَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [سورة الإسراء ٢٩] .

ج - ما في معنى قولهم" ليس الخبر كالمعاينة" قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام : ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ ﴾ [سورة البقرة ٢٦٠].

ح - ما في معنى قولهم (كما تدين تدان) قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [سورة النساء ١٢٣] .

خ - ما في معنى قولهم" لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين" في قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السّلام : ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾ [سورة يوسف ٦٤].

- **النوع الثالث:** الأمثال المرسلة في القرآن الكريم وهى جمل أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه فهي آيات جارية مجري الأمثال ومن أمثلة ذلك ما يأتي .قال الله تعالى :

1 - ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ [1] .

2 - ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾[2]

3 - ﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [3].

4 - ﴿ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [1].

([1]) سورة يوسف الآية 51.

([2]) سورة النجم الآية 58.

([3]) سورة يوسف الآية 41

5 - ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ ﴾ [2] .

6 - ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ ﴾ [3] .

7 - ﴿ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [4] .

8 - ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ ﴾ [5] .

9 - ﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴾ [6] .

10 - ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [7] .

11 - ﴿ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [8] .

12 - ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ [9] .

13 - ﴿ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴾ [10] .

14 - ﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴾ [11] .

([1]) سورة هود الآية 58.

([2]) سورة الأنعام الآية 67.

([3]) سورة فاطر الآية 43.

([4]) سورة الإسراء الآية 84.

([5]) سورة البقرة الآية 20.

([6]) سورة المدثر الآية 38.

([7]) سورة الرحمن الآية 60.

([8]) سورة المؤمنون الآية 53.

([9]) سورة الحج الآية 73

([10]) سورة الصافات الآية 61.

([11]) المائدة الآية 100.

15 - ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (1)

16 - ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ (2) .(3).

وقد اختلف علماء القرآن القدماء والمعاصرين مثل الرّازي من القدماء ، ومناع القطان من المعاصرين نفي مثل في هذا النوع من الآيات الذي يسمونه إرسال المثل ؛ وما حكم استعمال الأمثال؟ فرآه بعض أهل العلم خروجاً عن أدب القرآن قال الإمام الرّازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ جرت عادت الناس لأن يتمثّلوا بهذه الآية – وذلك غير جائز لأنه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به بل ليتدبروا فيه ثم يعمل بموجبه .(4)

ورأى:آخرون" أنّه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن في مقام الجد كأن يأسف أسفاً شديداً لنزول كارثة _ قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس فيقوّل ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [سورة النجم ٥٨] أو يحاوره صاحب مذهب فاسد يحاول استهواءه إلى باطلة فيقول " ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (سورة الكافرون ٦) "والاثم الكبير في أن يقصد الرجل إلى التظاهر بالبراعة فيتمثل بالقرآن حتى في مقام الهزل والمزاح "(5).

- **فوائد الأمثال:**

---

(1) سورة البقرة الآية 249.

(2) الحشر الآية 14.

(3) راجع مباحث علوم القرآن لمناع القطان ص82.

(4) بلاغة القرآن محمد الحصري – مؤسسة الرسالة – بيروت –ط1 - 1998م – ص- 123 .

(5) المصدر السابق ص123 .

وللأمثال فوائد عديدة في :

❖1 ابراز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس فيتقبله العقل لأن المعاني المعقولة لا تستقرّ في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة الفهم كما ضرب الله مثلاً كحال المنفق رياءً حيث يحصل من إنفاقه على شئ من الثـّواب فقال تعالى ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ ﴾ [سورة البقرة ٢٦٤]" .

❖2 الكشف عن الحقائق وعرض الغائب من معرض الحاضر – كقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥].

*3- جمع المعاني الرائعة في عبارات موجزة كالأمثال الكامنة والمرسلة في الآيات التي ذكرت في هذين النوعين في مواضعها .

❖4 ضرب المثل في الترغيب في الممثل حيث يكون الممثل به مما ترغب فيه التقوى كما ضرب الله مثلاً كحال المنفق في سبيل الله حيث يعود عليه الانفاق بخير كثير ؛ فقال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة ٢٦١].

❖5 ويضرب المثل للتنفير حيث يكون الممثل به مما تكرهه النفوس كقوله تعالى في النهي عن الغيبة : ﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ ﴾ [سورة الحجرات ١٢] .

❖6 ويضرب المثل لمدح الممثل كقوله تعالى في الصحابة : ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ

وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [سورة الفتح ٢٩]

وكذلك حال الصحابة فإنهم كانوا في بادي الأمر قليلاً ثم أخذوا في النمو حتى استحكم أمرهم وامتلأت القلوب إعجاباً بعظمتهم .

❖7 ويضرب المثل حيث يكون للمثل به صفة يستقبحها الناس كما ضرب الله مثلاً لحال من أتاه الله كتابه فتنكب الطريق من العمل به وانحدر في الدنايا منغمساً .فقال تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [سورة الأعراف ١٧٥] ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [سورة الأعراف ١٧٥ - ١٧٦].

والأمثالُ أوقعُ في النّفس وأبلغ في الوعظ وأقوى في الزّجر وأقومُ في الإقناع وقد أكثر الله تعالى الأمثال في القرآن الكريم للتذكرة والعبرة قال تعالى " ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الزمر: ٢٧].

وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت ٤٣] .

المبحث الثّالث

دراســة تحليل نمــاذج من الأمثــال

تقتصر الدّراسة في هذا المبحث علىٰ الأمثال القياسية " ؛ ويقصد بها الأمثال التي تخللتها لفظة (المثل) المكونة من (الميم والثاء واللام) مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة يس ١٣ - ١٧]" .

ونلاحظ في هذه الآيات أن كلمة (مثل) قد وردت في صدر الآيات وأن الغاية من ضرب المثل تصوير حادثة من الحوادث يقصد منها التأديب أو التّحذير أو تبيان طريقة

السّلوك .

ونلاحظ أيضاً إن ما دعي بالمثل القياسي كلام مطنب إذا ما قورن بالمثل السائر كما نلاحظ أنّه يجمع بين عمق الفكرة وجمال التّصوير وأنّه ليس تلخيصاً لقصّة ولا إشارة لها ولا اقتباساً ولا اقتضاباً وإنّما هو قصة بأكملها جاءت في صورة (مثل) وقصد بها التّأديب والتّوجيه والإرشـــاد .

((ومن خصائص الأسلوب في القرآن تصوير المعاني والمثل هو أفضل الوسائل لتصوير المعاني فحين يستقر في ذهني معنى من المعاني وأريد أن أنقله كما هو إلى ذهنك فإني أترجمه إلى ألفاظ وكلمات تنساب من مقولي وتلج عن طريق أذنيك إلى عقلك فيستقبلها ويحولها إلى معانٍ قد تطابق المعاني الأصلية في ذهني وقد لا تطابقها إما لقصور في الترجمة عندي أو لقصور في الإدراك عندك أو لهما معاً))[1].

ولا ريب أنّي سأبذل وأسعي وقدر طاقتي لإيصال ما في ذهني إلى ذهنك وسأسلك لذلك ما استطعت من الوسائل وبما أن الألفاظ ليست إلا نبرات صوتية جامدة فلا شك أن تشكلها إلي لوحة ترسم بنفسها المعنى المراد حتى تكاد أن تدركه العين قبل أن يستوعبه الذهن لاشك أن هذا من أنجع السبل لانتقال المعنى من ذهنٍ إلى ذهن وإظهار المعنى بكلمات تكاد أن تجعلها في صورة المحسوس حتى تهم بلمسها بيديك ثم تلج إلى ذهنك مترابطة متكاملة وهذا ما أريد به تصوير الألفاظ للمعاني في القرآن الكريم أو ما يعرف بالتصوير الفني في القرآن الكريم وهو علم ارتبط في الأذهان حقاً بسيّد قطب رحمه الله تعالى فهو أوّل من أتقن الكتابة فيه رسم حدوده ومعالمه ، وأبرز حقيقته إن لم تكن ظاهرة عند من سبقه فهي بلا شك باهتة لاتكاد تبين تلكم الحقيقة هي أن التّصوير هو الأداة المفضّلة في أسلوب

([1]) خصائص القرآن فهد الرومي – مطبعة الراشد – الرياض ط 3 - 1999 .

القرآن[1].

وقد أشار سيّد قطب إلى قيمة المثل التّعبيرية والإيحائية في نقل الصّور البلاغية وتجسيد المعاني في صورة حيّـة للمتلقي قائلاً . .لقد كانت السّـمة الأوّلى للتّـعبير القرآني هي اتباع طريقة المعاني الذهنية ، والحالات النّفسية ، وإبرازها في صورة حسية والسير على تصوير المشاهد الطبيعية ، والحوادث الماضية والقصص المروية والأمثال القصصية ومشاهد القيامة ، وصور النّـعيم والعذاب والنّـماذج الإنسانية كأنّها كلها حاضرة شاخصة بالتّـخييل الحسيّ الذي يفعمهما بالحركة المتخيلة "[2].

ثم وازن بين هذه الطريقة في نقل المعاني (ضرب المثل) والطريقة الأخرى التي تنقل المعاني والحالات النّفسية في صورتها الذهنية التجريدية وتنقل الحوادث والقصص أخباراً مروية وتعبّـر عن المشاهد والمناظر تعبيراً لفظياً لا تصويراً تخيليّـاً. ؟ يكفي لبيان هذا الفصل أن تتصور هذه المعاني كلها في صورتها التجريدية ، وأن نتصورها بعد ذلك في الهيئة الأخرى التّـشخيصية .

إن المعاني في الطريقة الأوّلى تخاطب الذهن والوعي ، وتصل إليهما مجردة من ظلالها الجميلة ، وأمّا الطريقة الثّـانية فهي تخاطب الحسّ والوجدان ، وتصل إلى النّـفس من منافذ شئ من الحواس بالتّـخييل ، ومن الحسّ عن طريق الحواس ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء ، ويكون الذهن منفذاً من منافذها الكثيرة إلى النّـفس "

" وينبغي أن نقول إن القرآن الكريم لا يكتفي بالتعبير عن المعنى في صورة محسوسة ثم يقف عند ذلك ؛ بل يرتقي بالصّورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشّـاخصة أو الحركة المتجددة ؛ فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النّـفسية لوحة أو مشهد ، وإذا

([1]) راجع التصوير الفني في القرآن سيد قطب – دار المعارف القاهرة –ط8 – 1975م .

([2]) خصائص القرآن ، مصدر سابق – ص94 .

النّموذج الإنساني شاخص حي فأمّا الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر، فيروها شاخصة حاضرة ، فيها الحياة وفيها الحركة فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل ."[1].

فما يكاد يبدأ العرض حتّى يحيلَ المستمعين إلى نظارة ويتعلم نقلاً إلى مسرح الحوادث الذي وقعت فيه أو ستقع حيث تتوالى المناظر وتتجدّد الحركات وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى أو مثل يضرب ويتخيل أنه أمام أحداث يراها حين وقوعها فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو وهذه سمات الانفعال في شتى الوجدانات المنبعثة من الموقف المتساوية مع الأحداث وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة فتنم عن الأحاسيس المضمرة .إنّها الحياة هنا وليست حكاية الحياة .فإذا ما ذكرنا وكدنا ننسى أن الأداة التي تصوّر هذه المعاني وتشخص هذه الأحداث إنّما هي ألفاظ جامدة .لا ألوان تصوّر ولا شخوص تعبّر أدركنا بعد أسرار الإعجاز في هذا اللّون من تعبير القرآن في (ضرب المثل) والأمثلة على هذا النّوع كثيرة ومتنوعة لا نريد تعداد أنواعها ولاستقصاء والمقام هنا مقام تمثيل وسنقف على طائفة من الأمثال

النّموذج الأوّل

ومن النماذج ما ضربه الله مثلاً للمنافقين في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة البقرة ١٩ – ٢٠]" .

(1) راجع التصوير الفني في القرآن الكريم .

ففي هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين مثلاً نارياً في قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [سورة البقرة ١٧] كمثل الذي استوقد نّاراً لما في النار من مادة النور ومثلاً مائياً في قوله : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [سورة البقرة ١٩] لما في الماء من مادة الحياة وقد نزل الوحي من السماء متضمناً النور لاستنارة القلوب وحياتها .

وذكر الله حظّ المنافقين في الحالين فهم بمنزلة من استوقد ناراً للإضاءة والنفع حيث انتفعوا مادياً بالدخول في الإسلام ولكن لم يكن له أثر نوري في قلوبهم فذهب الله بما في النار من الإضاءة ذهب الله بنورهم وأبقى ما فيها من الإحراق وهذا مثلهم الناري

النّموذج الثّاني

وذكر مثلهم المائي فشبههم بحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فخارت قواه ووضع أصبعيه في أذنيه فغمض عينيه خوفاً من صاعقة تصيبه ؛ لأن القرآن بزواجره وأوامره ونواهيه وخطابه نزل عليهم نزول الصواعق وقد ذكر الله المثلين المائي والناري في صورة الرعد للحق والباطل فقال تعالى ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [سـورة الرعد ١٧]"

ففي هذه الآية شبّه الله الوحي الذي أنزله من السماء لحياة القلوب بالماء والذي أنزله لحياة الأرض بالنّبات وشبّه القلوب بالأودية والسّيل إذا جرى في الأودية احتمل زبداً وغثاءً فكذلك الهدى والعلم إذا سرى في القلوب أثار ما فيها من الشّهوات ليذهب بها وهذا هو المثل المائي في قوله تعالى " ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ وذكر المثل الناري في قوله :"

وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ " فالمعادن من ذهب وفضّة أو نحاس أو حديد عند سكبها تخرج النّار ما فيها من الخبث وتفصله عن الجوهر الذي ينتفع به فيذهب جفاء فكذلك الشّهوات يطرحها قلب المؤمن ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد وهذا الخبث ((إنه مشهد عجيب حافل بالحركة مشوب بالإضراب فيه تيه وضلال وفيه هول ورعب وفيه فزع وحيرة وفيه أضواء وأصداء .إن الحركة التي تغمر المشهد كله من الصيب الهاطل إلى الظّلمات والرّعد والبرق إلى الحائرين والمفزعين فيه إلى الخطوات المروعة الوجلة التي تقف عندما يحثم الظّلام إن هذه الحركة في المشهد لترسم عن طريق التأثر الإيحائي حركة التيه والإضراب والقلق التي يعيش فيها أولئك المنافقون بين لقائهم للمؤمنين وعودتهم للشياطين بين ما يقولونه لحظة ثم ينكسون عنه فجاءة بين ما يطلبونه من هدي ونور وما يفيئون إليه من ضلال وظلام فهو مشهد حسيّ يرمز لحالة نفسية ويحسم صورة شعورية وهو طرفٌ من طريقة القرآن العجيبة في تجسيم أحوال النفوس كأنها مشهد محسوس))[1].

النّموذج الثّالث

وإليك نموذج ثالث وهو قوله تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾ [سورة الجمعة .٥] قد شبه اليهود وقد حملوا التوراة وقرأوها وحفظوا ما فيها ثم لم يعملوا بما جاء فيها يحاول الحمار يحمل أسفاراً من الكتب النافعة وهو جاهل بمضامينها ووجه الشبه بين الطرفين (المشبه وهو اليهود والمشبه به وهو الحمار) شقاء كل باستصحاب ما يتضمن المنافع العظيمة من غير أن يحصل على شئ منها وغرض التمثيل هنا هو ذم اليهود بتلك الحال وتقبيح أمرهم.

([1]) أنظر في ظلال القرآن سيد قطب – دار الشروق القاهره ط10 – 1981م ص 10 .

النّـموذج الرّابــع

ومن نماذج المثل أيضـاً قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة إبراهيم ٢٤ –٢٥]

شبّه الله سبحانه وتعالى الكلمة الطّيبة بالشّجرة الطّيبة لأن الكلمة الطّيبة تثمر العمل الصّالح والشّجرة الطّيبة تثمر الثّـمر النّـافع وهذا ظاهر على قول جمهور المفسّـرين الذين يقولون الكلمة الطّيبة هي شهادة (أن لا إله إلا الله) فإنّها تثمر جميع الأعمال الصّالحة الظّـاهرة والباطنة فكل عمل صالح مرضٍ لله (عزّ وجلّ) ثمرة هذه الكلمة وفي تفسير على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما [1] قال أصلها ثابت قولى (لا إله إلا أللّه) في قلب المؤمن وفرعها في السّماء يرفع بها عمل المؤمن إلى السّماء وقال الرّبيع ابن أنس كلمة طيّـبة هذا مثل الإيمان والإيمان كالشّجرة الطّـيبة وأصلها الثّـابت الذي لا يزول الإخلاص فيه وفرعه في السّماء خشية الله والتّـشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن فإنّـه سبحانه شبه شجرة التّـوحيد في القلب بالشّـجرة الطّـيبة الثّـابتة الأصل الباسقة الفرع في السّماء علـوّاً التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها وانصبغ بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها فيعرف حقيقة الهيئة التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللّسان لا تزال توتي ثمرتها من العمل الصّالح الصّاعد إلى الله تعالى وهذه الكلمة تثمر ثمراً طيباً فيرفع العمل الصالح العمل الطيب .

ومن لطيف القول في هذا المثل قول سيّـد قطب (وفي هذا المثل من الأسرار والعلوم

([1]) من النقد التطبيقي عبد المجيد الإسداوي .

والمعارف ما يليق ويقتضيه علم الله سبحانه وحكمته فمن ذلك أن الشّجرة لابد لها من عروق وساق وفروع وورق وثمر فكذلك شجرت الإيمان والإسلام ليطابق المشبه المشبّه به فعروقها العلم والمعرفة واليقين وساقها الإخلاص وفروعها الأعمال وثمرتها ما توجبه الأعمال الصّالحة من الآثار الحميدة والصّفات الممدوحة والأخلاق الكريمة والسّمت الصّالح فسيدلّ على غرس هذه الشّجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور فإذا كان العلم صحيحاً مطابقاً لمعلومة الذي أنزل الله كتابه به إن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السّماء ومنها أن الشّجرة لا تبقى حيّة إلا بمادة تسقيها وتنميها ؛ فإذا انقطع عنها السّقي كادت أن تيبس فهكذا شجرة الإسلام في القلب :إذا لم يتعهدها صاحبها ويسقيها في كل وقت بالعمل الصّالح والعود بالتذكر على التّفكر والتّفكر على التّذكر ؛إلا أوشك أن تيبس [1] والتذكر يكون بالباقيات الصالحات كما قال تعالى ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [سورة الكهف . ٤٦] والباقيات الصّالحات هم قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله.

للإيضاح أكثر إن مشهد الكلمة الطّيبة كالشّجرة الطّيبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء والكلمة الخبيثة كالشّجرة الخبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار هو مشهد مأخوذ من جو السياق ومن قصة النّبيين والمكذبين ومصير هؤلاء وهؤلاء بوجه خاص وشجرة النّبوة هنا وظل إبراهيم عليه السّلام أبى الأنبياء عليها واضح وهى تؤتى أكلها كل فترة أكلاً جنياً وطيّباً نبيّاً من الأنبياء يثمر إيماناً وخيرا وحيوية ولكن المثل بعد تناسقه مع جو

(1) انظر في ظلال القرآن سيد قطب .

السّـورة وجو القصة أبعد من هذا آفاقاً وأعرض مساحة وأعمق حقيقة إن الكلمة الطيبة كلمة الحق كالشجرة الطيبة ثابتة سامقة مثمرة ثابتة لا تزعزعها الأعاصير ولا تعصف بها رياح الباطل ولا تقوى عليها معاول الطغيان .مثمرة لا ينقطع ثمرها لأن بذورها تنبت في النفوس المتكاثرة آناً بعد آن _ وإن الكلمة الخبيثة كلمة الباطل كالشجرة الخبيثة ؛ قد تهيج وتتعالى وتتشابك ويخيل إلى بعض الناس أنها أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى ولكنها تظل نافشة هشة وتظل جزورها في التربة قريبة حتى لكأنها على وجه الأرض وما هي إلا فترة ثم تجتث من فوق الأرض فلا قرار لها ولا بقاء .والخير الأصيل لا يموت ولا يذوي مهما زَحَمَه الشّر وأخذ عليه الطريق والشر كذلك لا يعيش إلا ريثما يستهلك بعض الخير المتلبس به فقلما يوجد الشر الخالص وعندما يستهلك ما يلابسه من الخير فلا تبقى فيه منه بقية فإنه يتهالك ويتهشم مهما تضخم واستطال "[1]

ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون فهي أمثال مصداقها واقع في الأرض ولكن الناس كثيراً ما ينسونه في زحمة الحياة وفي ظل الشجرة الثابتة التي يشارك التعبير في تصوير معنى الثبات وجوه فيرسمها أًصلها ثابت مستقرّ في الأرض وفرعها شاهق ذاهب في الفضاء على مد البصر قائم أمام العين يوحي بالقوة والثبات في ظل الشجرة الثابتة مثلاً للكلمة الطيبة يثبت الله الذين أمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وفي ظل الشجرة الخبيثة المجتثّة من فوق الأرض مالها من قرار ولا ثبات ويضل الله الظالمين فتتناسق ظلال التعبير وظلال المعاني كلها في السياق يثبت الله الذين أمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة بكلمة الإيمان المستقرّة في الضّمائر الثّـابتة من الفطرة المثمرة بالعمل الصّالح المتجدد الباقي في الحياة ويثبتهم بكلمات القرآن وكلمات الرسول وبوعده للحق بالنصر في الدنيا والفوز في الآخرة وكلها كلمات ثابتة صادقة حقـّة لا تتخلف ولا تتفرق بها السّـبل ولا يمسُّ أصحابها قلق ولا حيرة

(1) المرجع نفسه .

ولا إضراب ويضل الله الظالمين بظلمهم وشركهم والصّورة المسماة باسم إبراهيم أبي الأنبياء والشّجرة الظليلة الوارفة المثمرة خير الثمرات والكلمة الطيبة المتجددة في الأجيال المتعاقبة تحتوي دائماً على الحقيقة الكبرى حقيقة الرّسالة الواحدة التي لا تتبدل وحقيقة الدّعوة الواحدة التي لا تتغير وحقيقة التّوحيد لله الواحد القهار .

وفي هذا المثل تبرز لنا حقيقة وهي إن موكب الإيمان منذ فجر التّاريخ الإنساني موكب واحد موصول يقوده رسل الله الكرام داعين بحقيقة واحدة جاهرين بدعوة واحدة وكلهم لا يدعون مع الله أحداً ولا يتوكلّ على أحد غيره ولا يلجأ إلى ملجأً سواه ولا يعرف سنداً إلا إياه .وهكذا تتجلّى العلاقة العميقة بين الحقّ في هذه الدّعوة والحق الكامن في الوجود كله ويبدو أنّه حقّ واحد موصول بالله الحقّ ثابت وطيد عميق الجذور كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وأن ما عداه هو الباطل الزائل كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار [1].

ومن بين التّفاسير التي انفردت بالجانب التّحليلي والبلاغي والأدبي هو تفسير الظّلال لسيّد قطب والذي يدل فيه أن السّورة تبدو في منتهى التّناسق والإحكام وكأنّها عقد من لؤلؤ منظوم في غاية الإبداع ويعد سيّد قطب من أبرز من أهتم بهذه النّاحية بصورة لم يسبق إليها ومن مظاهر التّصوير الفني في القرآن والبلاغة والإعجاز وأسرار القرآن وعجائبه ما يتصل بالمثل

النّموذج الخامس

ونختتم نماذج التحليل البلاغي في ضرب المثل بآيات الإنفاق في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ

(1) انظر بكري شيخ أمين – التعبير الفني في القرآن –سيد قطب – التصوير الفني في القرآن نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث .كتاب الامة العدد 154 .

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [سورة البقرة ٢٦١ –٢٦٤] " .

وفي هذا الجانب يتحدّث سيّد قطب عن الصّدقة بوصفها عملاً تهذيبياً لنفسٍ مطيعة وعملاً نافعاً مريحاً لأخذيها ولما كانت هناك نفوس شحيحة ضنينة بالمال تحتاج إلى هذه الإيقاعات القوية والإيحاءات المؤثّرة كما تحتاج إلى ضرب الأمثال وتصوير الحقائق في مشاهد ناطقة كما تبلغ إلى الأعماق كان هنالك من يضن بالمال فلا يعطيه إلا بالربا وكان هنالك من ينفقه كارهاً أو مرائياً وكان هنالك من يتبع النفقة بالمن والأذى وكان هنالك من يقدم الرديء من ماله ويحتجز الجيد إلى جانب المنفقين في سبيل الله مخلصين له الذين يجودون بخير أموالهم وينفقون سراً في موضع السر وعلانية في موضع العلانية في تجرد وإخلاص ونقاء كان هؤلاء وكان أولئك في الجماعة المسلمة حينذاك وإدراك هذه الحقيقة يفيدنا فوائد كثيرة أولاً في طبيعة هذا القرآن ووظيفته فهو كائن حي متحرك ونحن نراه في ظل هذه الوقائع يعمل ويتحرك في ظل جماعة المسلمين (والآية تستجيش المشاعر والانفعالات الحية في الكيان الإنساني إنه يعرف صورة من صور الحياة النابضة النامية المعطية [1] الواهبة صورة الزرع هبة

(1) سيد قطب ـ التصوير الفني في القرآن نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث كتاب الأمة العدد 154 .

الأرض أو هبة الله الزرع الذي يعطى أضعاف ما يأخذه وتهب غلاته مضاعفةً بالقياس إلى بذوره يعرف هذه الصورة الموحية مثلاً للذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبه إنّ المعنى الذهني للتعبير ينتهى إلى عملية حسابية تضاعف الحبة الواحدة إلى سبعمائة حبة أما المشهد الحي الذي يعرضه التّـعبير فهو أوسع من هذا وأجمل وأكثر استجابةً للمشاعر وتأثيراً في الضمائر إنه مشهد الحياة النامية ومشهد الطبيعة الحية ومشهد الزراعة الواهبة ثم المشاهد العجيبة في عالم النبات العود الذي يحمل سبع سنابل والسنبلة التي تحوي مائة حبة وفي موكب الحياة النّـامية الواهبة يتجه بالضمير البشري إلى البذل والعطاء إنّه لا يعطي بل يأخذ وإنّه لا ينقص بل يزاد وتمضي موجة العطاء والنّـماء في طريقها تضاعف المشاعر التي إستجاشها مشهد الزّرع والحصيلة إن الله يضاعف من رزقه الذي لا يعلم أحد حدوده) [1].

وهذه الصّورة الموحية لا تحصل إلا بضرب المثل الذي يُقرّب الصّورة الذهنية في حبّـة القمح الواحدة التي اشتركت في إجادها قوّة وطاقات كونية من الشّمس إلى الأرض إلى الماء إلى الهواء وقس على حبة القمح الإنفاق فالذي أعطى من ماله شيئاً فإنّما من مال الله أعطى وإذا أسلف حسنةً فإنما هي قرض الله يضاعفه له أضعافاً كثيرةً وسيعطي الواهب أضعاف ما أعطى من مال الله .

والمثل يُؤكّـد هذا المعنى في النّـفوس حتى لا يستعلي معطٍ ولا يتخاذل أخذٌ فكلاهما آكل من رزق الله فلا خوف عليهم من فقد ولا من حقد ولا من غبن وهم يحزنون .

وفي الآية [264] تبرز لنا براعة المثل في تشبيه المعنوي في صورة الجسي فقد شبه القرآن حال الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الأخر دون أن يستشعر نداوة

(1) كتاب الأمة العدد 154 مرجع سابق

الإيمان ولكنّه يُغطّى هذه الصّلادة بغشاء من الرّثاء هذا القلب الصلد المغشى بالرثاء _ فحال المنفق على هذا المال مثل الحجر الأملس الذي عليه تراب حجر لا خصب فيه ولا ليونة يغطيه تراب خفيف يحجب صلادته عن العين كما أنّ الرّياء يحجب صلادة القلب الخالي من الإيمان فأصابه وابل فتركه صلداً وذهب المطر الغزير بالتّراب القليل فنكشف الحجر بجدبة وقساوته ولم ينبت زرعه ولم يثمر ثمرة كذلك القلب الذي أنفق ماله رئاء الناس فلم يثمر خيراً ولم يعقب مثوبةً

والقرآن الكريم زاخر بالآيات التي بنيت على المماثلة والتّشبيه وضرب المثل سمة بارزة في أسلوب القرآن الكريم إذ تفعم الكلمة بالحركة والجمل بالمشاهد والصّورة المتحركة حتى لتجد نفسك في جو الحدث فتنفعل معه بقدر ما تمتلك من حضور الذهن وبقدر تأملك وتدبرك للنّص القرآني حتى تبلغ من التّأثر ما يلين به قلبك وتظهر عليك علامات الإعجاب والدّهشة من حيث تدري أو لا تدري لأن القرآن بأسلوبه المجسم من خلال ضرب المثل ينقل المتدبّر إلى المعاني الرّاقية والحقائق الثّابتة لكل القيم الفكرية والأخلاقية والسّلوكية .

وضرب المثل يدخل في دائرة الإعجاز البياني في القرآن الكريم والدراسة فيه ممتدة لا تنقطع فهي خالدة بخلوده لآن القرآن خالد على الزمن وللزمن فالإعجاز ممتد وبحر عطاء لا ينضب ماؤه خاصة وإنه تحدى الإنس والجن في الإتيان بمثله ، ومن إعجازه أيضاً – أن يظل مطروحاً على الأجيال تتوارد عليه جيلاً بعد جيل ثم يبقى أبداً رحّب المدى سخي المورد كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية امتد الأفق بعيداً وراء كل مطمح عالياً يفوق طاقة كل دار

الخاتمـــــــة

بحمد الله وتوفيقه هذا ما استطاع الباحث أن يشير إليه من القيم الجمالية في أمثال القرآن الكريم وهي قيم سامية ومزايا عظيمة .

لم يكن مستغرباً أن تتعدّد آراء الباحثين حول الجانب الذي يتمثل في إعجاز القرآن الكريم فقد نقلت إلينا الكتب والمؤلفات وما زالت تنقل وجوهاً كثيرة للإعجاز تختلف من عصر لعصر ومن باحث لباحث ومن خلال جولتنا في هذا البحث الذي قصر على إلغاء الضّـوء على الأمثال في القرآن الكريم من منطلق القيم التّـعبيرية والدّلالات البلاغية محاولاً الكشف عن هذه القيم من جوانبها الجمالية وعلاقاتها الكلّـية _ وفهم النّـص القرآني فهماً صحيحاً لا يحصل إلا في نطاق ما أنشـــأه علماء العربية واللّغة والبلاغة وغيرها من مناهج وطرق البحث وقد التزم الباحث بجهود هؤلاء العلماء وقد استخرج حقائق التّحليل الأدبي بوساطة المصطلحات الأدبية وقد توصّـل الباحث إلى النّـتائج الآتيـنة

1/ القرآن الكريم كتاب رَحْبُ المدَى .سخي المورد .يفوق طاقةَ كلّ دارس .

2/ البحث قد جمع خُلاصَة أسرار المثل وقدرته التعبيرية من المعاني .

3/ ضرب الأمثال يفيد الغبطة والعبرة تثبيتاً للعقيـدة ودعماً للمبادئ .

4/ أمثال القرآن الكريم خيـر الأمثال وأعظمها لأنّها من كلام العلم والحلم.

5/ للأمثال فوائد عديدة منها إبراز المعقول في صورة المحسوس _ وجمع المعانى الرّائعة في